صفحة من تاريخ
الرهبانية الباسيلية الشويرية

بقلم الاب اثناسيوس حاج ق. ب.
مدير الدروس في المدرسة الاكليريكية

٣

٥ — بعض رجالها المشاهير (تابع)

٣ — الشماس عبدالله زاخر (١٦٨٤ — ١٧٤٨)

ولد في مدينة حلب سنة ١٦٨٤ من والدين مسيحيين ، وكان ابوه بارعاً بصناعة الصياغة والنقش فعلمه اياها . وقد مارس عبدالله التصوير ايضاً فاتقنه ، ومن تصويره صورته التي صورها بيده ناظرًا الى وجهه بمرآة ، او كما يقول البعض ، بالماء ، وهذه الصورة القيمة لم تزل محفوظة . ويحكى عنه انه صنع ساعات مائية ومطبعة كاملة في حلب بمساعدة اخيه فكان له في كل ما زاوله الباع الطولى ، لان الله آتاه ذكاء غريباً وذوقاً كبيراً .

ولما كانت سنة ١٧٢٣ ، خرج من حلب المطران جراسيموس ، ومعه الشماس جرمانوس ، والشماس عبد الله زاخر . وكان سبب خروجهم كما يخبرنا تاريخ الرهبانية الاضطهاد الشديد الذي اثير على المستقيمي الايمان . اما المطران فمضى الى دير البلمند ، مع شماسه جرمانوس . واما عبد الله زاخر الذي كان يبغضه الخصوم ويطلبون قتله لتفنيده آراءهم بكتاباته وبراهينه المفحمة ، فانه لجأ الى دير مار يوحنا في ٢١ ت٢ . فمكث في الدير حتى ٢٠ تموز سنة ١٧٢٤ . ثم انتقل الى زوق مكايل مخافة ان يلحق بالرهبانية اذى بسببه . وهناك شرع في عمل مطبعة الصابغ صانعاً بيده الآلات اللازمة لهذا العمل الخطير ، ولم يكن

له معاون سوى رجل صانع كان يقدم له بعض آلات ويكل اليه الامور البسيطة.

وفي سنة ١٧٢٧ عاد من الزوق الى دير مار يوحنا ، وبدأ ببناء قلاية كبيرة ورواق وأخذ في تأسيس المطبعة . فارسل الى حلب يستجلب بعض الآلات التي لا بدّ منها . غير انه لم يلبث ان اضطر الى الرجوع الى الزوق لان الامير نجماً ارغم الرهبان على اخلاء الدير ، ولم يرجع الى الصابغ الا سنة ١٧٣١ اذ استُردّ الدير وعادت الاحوال الى مجاريها . ولم تكن سنة ١٧٣٢ حتى كانت المطبعة كاملة بجميع مقتضياتها ، فابتدأ بطبع ٨٠٠ نسخة من كتاب ميزان الزمان . واخذ يطبع الكتب الكثيرة المفيدة فيشدّها بيده ويوزعها على المسيحيين ، وقد علم كثيرين فنّ الطباعة ليواصلوها بعده حباً بالخير العام وخدمة للدين.

قداسته

كان محباً للقريب ، غيوراً عليه ، متفانياً من اجله . فكان اذا اتاه فقير وليس لديه مال يتصدق به عليه ، يعطيه من ثيابه لئلّا يرده خائباً . وكان عذب الكلام ، وديعاً ، متواضعاً على غزارة علمه وسمو مكانته . ولهذا كان الجميع يحبونه ويتسابقون لمجالسته . وقد كان حافظاً المشورات الانجيلية غير ان تواضعه صدّه عن إقتبال الدرجات الاكليريكية ، محتسباً نفسه غير اهل لهذه الرتب السامية . ومما يخبر عنه انه لم يرضَ بابراز النذورات الرهبانية الا قبيل موته . ولم يكن يعرف البطالة بل كان يصرف ايامه في الصلاة والمطالعة والتأليف والتعليم والطباعة . وكان ينهض ليلاً قبل الرهبان ، فيصلي صلاته العقلية ، ويذهب بعدئذ مع الرهبان الى الكنيسة لحضور صلاة الفرض بكامله غير مشفق على جسمه الضعيف ، وعلى شيخوخته من التعب ، ولا من البرد القارس ايام الشتاء . وقد اتفق له مرة ان سقط ، وهو ذاهب الى الكنيسة ليلاً ، فاصيب بجرح كبير في راسه فلم يرجع الى قلايته ، ولئلا يصدّه احد عن الذهاب الى الفرض ، وهو على تلك الحالة ، لفّ رأسه وستره كانه خائف من البرد.

وكان حاكفاً على المناولة المتواترة ، متعبداً لمريم العذراء. مشتركاً بكثير من اخويتها ، مميتاً ذاته بتقشفات صعبة من مثل الصيام الى ما بعد الظهر بساعتين ، والامتناع عن اللحم والخمر بالكلية ، متردياً بالمسح ، مكتفياً بخمس ساعات من النوم كل يوم رغم ما كان به من الامراض.

علمه الزاخر

لقد قرن هذا الرجل بين الفضيلة والعلم النزير ، فكان عالماً حقيقياً ولذا لقب بالزاخر اشارة الى بحر فضائله وعلومه . ومما يعجب له في هذا الرجل انه اكتسب اكثر العلوم التي كان جاهلاً لها بالمطالعة والتنقيب والتفكير وبما اعطاه الله من ذكاء غريب.

وانه بنوع خاص قد تعمق في علم اللاهوت بجميع ملحقاته من مثل علم الكتاب المقدس ، والآباء والمجامع ، وعلم الدفاع ، حتى انه لم يكن له مثيل فيها ببلاد الشرق ، وحسبنا برهاناً الكتب التي الفها او نقحها او عربها ومنا اكثرها واجزلها فائدة.

مترلته السامية

كان الجميع يجلونه اجلالاً عظيماً ويحسبون له حساباً كبيراً . فاعداء الدين كانوا يخافون ان يعرضوا نفوسهم هدفاً لقلمه البليغ وحجته القوية . ورجال الدين من بطاركة واساقفة وغيرهم كانوا يجبونه ويكاتبونه ويكاتبون اليه حل المشاكل . فكانوا يكاتبونه ويستطلعون آراءه وكانوا اذا كتبوا للرئيس العام يخصونه بالسلام: «تهدون البركة لمحبة الآباء والى الشماس عبدالله زاخر» واذا قرّ رأيهم على شيء يكتبون «رأى الاباء والشماس عبدالله زاخر»

موته

من يحيي حياة القديسين يمت ميتتهم ، فالشماس عبدالله زاخر قد مات متمماً واجباته الدينية مزوداً بالاسرار المقدسة في ٧ آب سنة ١٧٤٨ . اعترته حمى شديدة ، وظهرت عليه علامات الموت وغاب عن الصواب . فحزن الآباء جداً . غير ان الله تعالى اعاده الى الانتباه ، فنهض واعترف اعترافاً عاماً ، وطلب ان يذهب الى الكنيسة ليتناول هناك اجلالاً للقربان الاقدس . اما معلم

اعترافه فامره بالبقاء على فراشه ، ولما لحضروا له الزوادة الاخيرة ، هب من فراشه وجثا وناجى يسوع بخطاب يتدفق تقوى وعبادة فابكى جميع الحاضرين ، ثم تناول وشكر طويلاً واقتبل سر المسحة . واخيراً فاضت روحه الطاهرة كما يفيض المصباح نوره الساطع بعد ان يكون اضاء طويلاً .

٤ — الاب رومانوس بن حنا لوقا (١٨٠٤—١٨٧٤)

هو من بغداد ، اتى الى الرهبانية فابتدأ في ١٨ ك١ سنة ١٨٣٠ ، وبعد ان قضى مدة قصيرة في التجربة بروح الورع والقداسة ابرز النذور الاحتفالية سنة ١٨٣٢ . ولما رأى الرؤساء كبير فضيلته ، دعوه للدرجة الكهنوتية ، وارساوه الى بغداد ليخدم النفوس فيها . غير انه لم يلبث طويلاً حتى سافر ، باذن الرؤساء ، الى الهند طلباً لاخ له ، وطمعاً في عمل الخير . فلما وصل الى كلكوتا وقضى مدة فيها ، شعر اسقف اللاتين بفضيلة وغيرة هذا الراهب ، فسأله ان يساعد المرسلين بخدمة النفوس مهتماً بنوع خاص بجالية حلبية مقيمة هناك ، فلم تأبَ غيرته هذه المهمة السامية ؛ وقد افاد كثيراً بتفانيه ومثاله الصالح .

قد قضى في كلكوتا سبعاً وعشرين سنة جمع في خلالها احسانات كبيرة للطائفة وللرهبانية . فقد ارسل لطران بيروت ثلث نفقات الكنيسة ، وارسل للرهبانية اواني مقدسة ذهبية وفضية كثيرة . ولما حضر من الهند ، مرَّ بمصر ، فشيد فيها داراً للرهبانية ؛ ثم حضر الى الصايغ باحسانات جزيلة وشيء كثير من الاواني الكنسية والبدلات الكهنوتية الجميلة ، فوضع كل ما كان جمعه بين ايدي الرؤساء غير حافظ لنفسه شيئاً ، شأن الرهبان المتجردين .

لم يكد يعمل حتى سمي رئيساً لدير القديس انطونيوس في كفرشيما ، فكان مثال الرئيس المتواضع المتفاني . وقد مرت عليه وعلى الدير ايام ضيق وجوع ، فكان هو اكبر المتوجعين لرؤية رهبانه في الحاجة . وكثيراً ما كان يبكي بدموع غزيرة طالباً الى الله اعانة رهبانه ، ولما كانت الاديار ملجأ الفقراء وقت الحاجة ، كان لا يألو جهداً حتى يطعمهم ايضاً ، ولذلك كان يحرم نفسه من طعامه ليعطيه للفقراء .

كان الرؤساء قد سمحوا له ان يحتفظ بصليب ذهبي حاو ذخيرة مقدسة ، فدفعته محبته للفقراء وتجرده الرهباني الى ان يبيع ذلك الصليب الجميل ، جاعلاً الذخيرة في صليب بسيط ، ويطعم بثمنه رهبانه والفقراء.

واراد الله زيادة استحقاقاته فسمح بان الذين احسن اليهم هذا البارّ يقومون عليه فيهينونه ، واتصلت القحة باحدهم ان رفع يده عليه ، فابدى هذا الاب احتمالاً عجيباً وصبراً جميلاً وغفر لاولئك الجهلة وبالغ في اكرامهم.

اما موته فكان في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٨٧٤ . بكاه كل من عرفه ، وتقاطر الناس الى التبرك بدفنه عادّينه قديساً ، ولا عجب ، فان جثته بقيت غير بالية زماناً طويلا ، وان اهل كفرشيما لا يزالون يوقدون مصابيح على قبره مستشفعين به كلما وقع احدهم في مرض عضال . وهم يحدثون دائماً بالعجائب التي يقولون انها جرت على يده.

٥ — الخوري جاورجيوس عيسى (١٨٢٧ — ١٨٧٥)

هو ايلياس بن ابرهيم عيسى السكاف ، ولد في معلقة زحلة سنة ١٨٢٧ ، ودرس على كاهن رعيته مبادئ الدين والعلوم . كان منذ صغره تقياً ميالاً الى العيشة الرهبانية ، وكان يشتدّ فيه هذا الميل وينمو كلما ازداد في السن الى ان اتيح له الذهاب الى دير الشابغ في ٢٨ ايلول سنة ١٨٤٥ ، فلبس ثوب الابتداء واخذ يمارس التقشفات الرهبانية شأن المتفردين في الزهد والاماتة . وفي ٦ تموز سنة ١٨٤٧ ابرز النذورات الرهبانية الاحتفالية المؤبدة.

ولما كان على جانب كبير من الذكاء والاجتهاد ، سهل له رؤساؤه الوسائل لدرس العلوم فاحرز منها نصيباً وافراً . ثم ارسل الى بيروت ليعلم فيها ، فكان في اوقات الفراغ يتردد على صديقه الشيخ ناصيف اليازجي ، فاخذ عنه شيئاً كثيراً في اللغة والعروض والبيان . اخيراً اكب على درس اللاهوت متأهباً لقبول الدرجات الكنسية ، فسامه المطران اغابيوس الرياشي شماساً ثم قساً سنة ١٨٥٧.

لم يمض على ذلك سنة حتى عرف الجميع فضله وفضيلته ، فاجمت الطائفة

على انتخابه قاضياً لها في محكمة لبنان ، فحقق ثقة القوم فيه باخلاصه وتفانيه. وفي سنة ١٨٥٩ دعاه صوت الطاعة الى دير الصابغ ليكون مدبراً للرهبانية ، فلبى الامر وقام بمهمته احسن قيام.

ولما كانت البلاد في حاجة الى مدرسة وطنيـة عالية ، وكان ذا غيرة على وطنه وطائفتـه ، سافر سنة ١٨٦٠ ، بأذن الرؤساء ، الى باريس ، ومنها الى ايرلندة حيث جمع المال الوافر لانشاء مدرسة كبيرة في بيروت . وقد مرّ في عودته على رومية ، فزار الحبر الاعظم الذي سرّ به كثيراً وبارك مقـاصده الصالحة ، وذلك سنة ١٨٦٥ . ولم يكد يصل الى بيروت حتى شرع ببناء المدرسة البطريركية ، ولم تكن سنة ١٨٦٦ حتى فتحت ابوابها للطلبة. فكافاه خدمته الوطنية هذه قد منحته الدولة العثمانية الوسام المجيدي الخامس كما ان البطريرك سماه ارشيمندريت الكرسي الانطاكي.

بيد ان الاتعاب والمشقات الجزيلة انحلته فاضطر ان يستقيل . وعاد الى الصابغ حيث انقطع الى تعليم الرهبان وعمل الرياضات الروحية في القرى ايام الصيامات.

ولما كانت سنة ١٨٧٠ دعاه المطران اغابيوس الرياشي اليه ، فسماه وكيله العام في بيروت . وهناك انفسح له مجال الجهاد في سبيل الخير . فاول مبرّة اتاها ، ولم يكن سبقه اليها احد من الطـائفة في بيروت ، هي تأسيـه سنة ١٨٧٠ اخوية العذراء المجيدة للرجال وللنساء ، وقد نظّم هذه الاخوية وسنّ لها قوانين ، وكان يجمع الاعضاء والمشتركين فيعظهم ويباحثهم ويصلي معهم ، وقد فتح لهم غرفة قراءة للمطالعة الروحية ، فافاد جدًّا بوعظه ومثاله الصالح.

وان الراعي الصالح هو الذي يبذل نفسه عن الغنم . هذا ما فهمه الاب جاورجيوس عيسى واتخذه شعاراً له واضعاً اياه بالعمل . لم تكن سنة ١٨٧٥ حتى انتشر داء الهواء الاصفر في بيروت فملأ القبور ، والمستشفيات ، والبيوت ، واخذ الكثيرون يهربون الى الجبال . اما الاب عيسى فعرف ان يتمم واجب الراعي في مثل هذه الاحوال العصيبة ، فكنت تراه يطوف المدينة حاملاً عليه ، مع الادوية الروحية ، ادوية زمنية ايضاً للفقراء المصابين ، وكان يصرف نهاره

والشطر الكبير من ليله في عيادة المرضى . واذا مات احدهم فكان هو اول من يسارع لنقل جثته عند تعذر وجود من يحمل الميت الى القبر.

اخيراً بينما كان ذات يوم عائداً من عند احد المصابين شعر بالداء ، وكأن الله عرفه بذلك ان اجله قريب. لأن هذا الكاهن الورع كان يطلب من العذراء ان تعرفه باجله ، ولو قبل وفاته بقليل ، فلم تشأ العذراء ان ترد طلبة هذا العبد الذي كان شديد العبادة لها ومضطرماً غيرة على نشر عبادتها بين المؤمنين . فعند رجوعه الى قلايته مرّ بنجار واوصاه ان يعمل له تابوتاً على قياسه ويأخذه له حال اتمامه . ثم ذهب الى غرفته واخذ يتهيأ الى الموت بكل طمأنينة قلب شأن العبيد الامناء . ولم يكد النجار ينتهي من التابوت حتى مات الاب عيسى ميتة الابرار ، وهو يردّد اسم العذراء مريم. فاسرع الجميع اليه ، وكان النجار من اول الحاضرين ، فاخذ يقصّ عليهم ما جرى له مع الاب البارّ وكيف عرف بدنوّ اجله مع انه كان بكل العافية عندما اوصاه بعمل التابوت.

٦ — البطاركة والاساقفة ابناء الرهبانية

١ — البطاركة

مكسيموس حكيم		توفي ٢٧ ت ٢ سنة ١٧٦١
ثاوذوسيوس دهان		١٧٦١-١٧٨٨
اغناطيوس مروف	توفي	١٨١٣

٢ — الاساقفة

ثاوفيلوس نصري	من حلب	مطران صيدنايا	١٧٢٢-١٧٣١
جراسيموس احد مؤسسي الرهبنة	من حلب	مطران حلب	-١٧٥٤
باسيليوس يعقار		« بعلبك	١٧٥٤-١٧٦١
مكسيموس حكيم		مطران حلب ثم بطريرك	
اثناسيوس دهان		« بيروت ثم بطريرك ثاوذوسيوس	
مكسيموس حنانيا صاجاقي	من حلب	مطران حلب	-١٧٦١
اغناطيوس جربوع	من حلب	مطران حلب	١٧٦١-١٧٧٧

فيلبس قصير	من حلب	مطران بعلبك	١٧٦١–١٧٧٧
ديمتريوس قيمجي	من الشام	مطران جبيل	١٧٦٨–١٧٧٩
يوسف الحكيم	من حلب	مطران قاره	١٧٦١–
اغابيوس قنيصر	من حلب	مطران دياربكر	؟ ١٧٧٥–١٨١٠
أكليمنضوس طيب		آخر مطران على جبيل	١٧٩٨–١٨٠٢
اثناسيوس بن عوده	مطران بدوسة القديس اثناسيوس برومية		١٨١٦–
أكليمنضوس بيدروس	من حلب	مطران جبيل	١٧٩٨–
باديكتوس التركماني	من حلب	مطران بعلبك	١٧٨٥–١٨٠٨
ثاوذوسيوس بن بدره	من حلب	مطران بيروت	١٨١٤–١٨٢١
مخايل التركمان	من حلب	مطران حلب	١٨٢٣–
شكرالله بن نعمه شكر	من حلب	مطران حلب	١٨٢٣–
اثناسيوس عيد	من عكا	مطران بعلبك	١٨٢٣–١٨٤٩
لقاطيوس دهان	من بيروت	مطران بيروت	١٨٢١–١٨٢٦
لقايوس الرياشي	من المخشاره	مطران بيروت	١٨٢٨–١٨٧٨
يوسنيوس شاهيات	من حلب	مطران زحلة	١٨٢٦–
باسيليوس كفوري	من المخشاره	مطران مصر	١٨٣٧–١٨٥٩
اغابيوس معلوف	وادي الكرم	مطران بعلبك	١٨٩٦–١٩٢٢
اثناسيوس صوايا	قاع الريم	مطران بيروت	١٩٠٥–١٩١٩

الاحياء

فلابيانوس كفوري	من المخشاره	مطران بجرود سابقاً	١٩٠١
باسيليوس قطان	ذوق ميكائيل	مطران بيروت	١٩٢١
ديونيسيوس كفوري	من المخشاره	مطران طرسوس	١٩٢٦

(للبحث صلة)